موازنة يحيى العلوي في كتابه (الطراز) بين كلام الإمام علي وكلام العرب في فن الاستعارة (دراسة نقدية)

Al-Alawi Yahya 's Balance in his Book "Al Teraz" between the Words of Imam Ali and the Words of the Arabs in Art of Metaphor: A Critical Study

حسن موسى كاظم الرويعي

أ. د. علي كاظم المصلاوي

جامعة كربلاء المقدسة ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ قسم اللغة العربية

ملخص البحث/

يأخذ موضوع الموازنة أهميّة كبيرة في الدراسات النقدية؛ ولا سيَّما في الدراسات التقليدية القديمة؛ لأنَّها تكشف بشكلٍ واضح عن الآليات التي كان يعتمدها القدماء في محاكمة النصوص ونقدها, وكثير من تلك الآليات لو قاربناها مع الدراسات النقدية الحديثة، فإننا سنجد كثيراً منها متشابهاً إذا لم نقل متطابقاً مع ما كان يعمده القدماء ، ومن هنا تأتي الأهمية في دراسة تلك النصوص بوصفها تراثاً شاهداً على وعي النقاد القدماء وتكاملهم المعرفي.

لقد درسنا الاستعارة بوصفها آلية للموازنة عند العلوي في دراسته لنصوص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب8 مع نصوص العرب الأخرى, وقد انتهى العلوي إلى القول بأفضلية كلام أمير المؤمنين8 على كلَّ الكلام ما خلا كلام الله تعالى وكلام نبيه الأكرم محمد9 معتمداً في ذلك على آليات نقدية من أهمها الاستعارة.

وسنركز الحديث في هذا البحث عن الأمثلة التي استشهد بها العلوي في مضمار فن الاستعارة من كلام الإمام علي 8, وما جاءت به العرب, وما عابه من أشياء لم يتوخها قائلوها ونُزَّه منها كلامه8.

Abstract

Metaphor is a highly significant topic in literary criticism, particularly in traditional ancient studies, as it provides clear insight into the mechanisms that the ancients used to judge and critique texts. Many of these mechanisms are similar, if not

identical, to those used in modern literary criticism. Therefore, studying these texts as a heritage witness to the awareness and integration of our ancient critics is important.

Al-Alawi studied metaphor as a mechanism for Balance in studying the texts of Amir Al-Mu'minin Ali bin Abi Talib and other Arab texts. He concluded that the words of Amir Al-Mu'minin were superior to all other words except for the words of Allah and His Prophet Muhammad, relying on metaphor criticism mechanisms.

The current study focuses on the examples cited by Al-Alawi in the field of metaphor from the words of Imam Ali and those of the Arabs. The study also incorporates what Al-Alawi criticized as being not carefully pronounced by its speakers; thus, Amir Al-Mu'minin Ali bin Abi Talib's words were purified from it.

التمهيد:

من الموضـــوعات التي وازن بها العلوي في كتابه "الطراز" بين كلام الإمام علي8 وكلام العرب هي الاستعارة، وقبل استعراض ما جاء به العلوي من كلام الإمام علي8وكلام العرب نقدم إضاءة عن حياة العلوي وتعريفاً بكتابه وفرشاً تعريفياً لفن الاستعارة .

اولاً: إضاءة عن العلوي:-

اسمه ونسبه :-

هو المؤيد بالله الإمام أبو ادريس يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن ابراهيم بن محمد بن احمد بن إدريس بن جعفر الزكي بن علي التقي بن محمد الجواد بن الامام الرضـــا بن موســـى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحســـين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[1].

قدم أبوه (علي بن ابراهيم) من العراق أيام الإمام السـراجي ، وأما أمه فهي الشـريفة أخت الإمام الناصر لدين الله يحيى بن محمد السراجي(ت 696هـــ) ، وله سبعة أولاد من الذكور وست من الاناث.[2]

مولده ونشأته العلمية:

ولد بحوث في صنعاء في السابع والعشرين من صفر سنة(669 هـــ)، في اسرة كريمة مشــهورة بالعلم موصــوفة بالزهد والتقوى تأثر بها ونشــأ محباً للعلم, ســاعياً للتزود بالمعارف المختلفة المتعددة المشارب. فحفظ القرآن الكريم، واشتغل بالعلم وهو صبي، أخذ في جميع أنواع العلوم على يد أكابر علماء الديار اليمنية. تبحر في العلوم حتى فاق أقرانه، وصــنف تصــانيف كثيرة في فنون مختلفة، حتى صــار من أشــهر أئمة الزيدية المجتهدين في الديار اليمنية، وقد بلغت مؤلفاته مائة مجلد[3]

وقد انتهت صفحة هذا العالم الفذ الموسوعي بعد تقلّده إمارة اليمن في سنة (749 هـ) في اصح الأقوال، وقد دفن في مدرسته بذمار، وقد رثاه شعراء كثر[4].

ثانياً: الموازنة في فن الاستعارة.

من الموضـــوعات التي وازن بها العلوي بين كلام الإمام عليA وكلام العرب هو موضـــوع الاســـتعارة، وقبل اســـتعراض ما جاء به العلوي نقدم تعريفاً للاســـتعارة التي عرض عبرها تلك الموازنات .

إذ إنّ الاستعارة تعدُّ من أشـهر صـور المجاز اللغوي وأرحبها أُفقاً, وقد ظفرت باهتمام النقاد العرب القدماء وعلماء اللســـانيات في العصـــر الحديث , وبخاصـــة في مجال علم الدلالة والاسلوبية.

والاستعارة في الاصطلاح هي:" ذكر الشـيء باسـم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشـبيه"[5]، ونقل الألفاظ من دلالاتها الأصـلية إلى أخرى مقصـودة، أي نقل أو اسـتعارة الكلمة من معنى عرف في اللغة إلى آخر لم يعرف قد تشـــترك معها في صـــفة أو أكثر، لغرض المبالغة[6].

ونقل العلوي(ت-749هـــــ) أكثر من تعريف للبلاغة, منها تعريف الرماني, وتعريفين لابن الأثير ,وتعريفاً لابن الخطيب الرازي وأفسدهما العلوي من عدّة وجوه.[7]

أما التعريف الأول للرماني وحاصل ما قاله في الاستعارة نقلاً عن العلوي:" أنَّها استعمال العبارة لغير ما وضعت له في أصل اللغة"[8].

أما تعريف ابن الأثير إذ قال:" في حدها هو نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه"[9].

والتعريف الأخير لابن الخطيب الرازي نقلاً عن العلوي إذ قال: " وحاصل ما قاله أنها ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه"[10].

وذهب هو إلى تعريفها بالقول:" أن يقال تصييرك الشيء الشيء وليس به، وجعلك الشيء للشيء وليس له بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكماً، فقولنا «تصييرك الشيء الشيء وليس به وجعلك الشيء للشيء وليس له» شامل لنوعي الاستعارة، فالأول كقولك لقيت أسداً، وأتيت بحراً، والثاني كقولك رأيت رجلاً أظفاره وافرة، وقصدت رجلاً تتقاذف أمواج بحره، وفلان بيده زمام الأمر، وقولنا «بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة» كقولك زيد كالأسد ومثل البحر، فإن ما هذا حاله ليس من باب الاستعارة في شيء لما يظهر فيه من صورة التشبيه، وأحد البابين مغاير للآخر فلا يمزج أحدهما بصاحبه، وقولنا «ولا حكما» يحترز به عن صورة واحدة، وهى قولنا زيد أسد، وعمرو بحر، فهل يعد هذا من باب الاستعارة، أو يكون معدوداً في التشبيه، فأكثر علماء البيان على عده من باب التشبيه، وإدخاله في حيرة، ومنهم من زعم أنَّه معدود في الاستعارة لتجرده من آلة التشبيه، فصار الأمر في الاستعارة والتشبيه جاريا على ثلاثة أوجه، أولها أن يكون استعارة باتفاق، وهذا كقولك رأيت قمراً نوره على الناس، وشمساً ضياؤه على الخلق، وثانيها تشبيه بلا خلاف، وهو ما ظهرت فيه أداة التشبيه كقولك زيد مثل البحر، ومثل الأسد، وثالثها وقع فيه خلاف، هل يعد من الاستعارة أو يكون معدوداً من التشبيه، وهو ما كان مضمر الأداة، وهذا كقولك زيد أسد، وعمرو بحر، وغير ذلك" [11].

وقد استشهد العلوي أمثلة لفن الاستعارة كثيرة في كتابه الطراز وجعلها على اربعة مراتب, لتقرير الحقائق وبيانها, مبتدئاً بها بالقرآن الكريم من ثمَّ الحديث النبوي الشريف وكلام الإمام علي (8) ومنتهياً بكلام العرب نثراً وشعراً.

وتجدر الإشارة أنَّ العلوي قد استشهد لفن الاستعارة جملة من الآيات القرآنية, وأشاد بسمو الكلام الإلهي وهي اســتعارات كثيرة ورشــيقة, فالقرآن الكريم يدل على المعنى العميق ومع ذلك فمعانيه سهلة الفهم والتناول وواضحة وضوح الشمس، فالقرآن يقرأه العامة والخاصة، ويفهمون منه ما يستطيعون حسب فهم كل منهم، فهو يراعي كل الأفهام، ويخاطب كل مستويات العقول "ففي القرآن من المجازات البليغة والاستعارات الرشيقة فهذه الاستعارات كلها متلائمة، وفيها من التناسب ما لا خفاء به، وهي استعارات كثيرة"[12].

وفيما استشهد به العلوي أيضاً لفن الاستعارة هي الأخبار النبوية الشريفة, إذ عدّها" من الرقة واللطافة ما لا يخفى حاله على من ضرب في هذه الصناعة بحظ وافر وكان له فيها القدح القامر, ومجازات الأخبار النبوية واسعة الخطو وقد وقفت على المجازات النبوية للسيد الشريف على بن ناصر، ولقد أتى فيها بالعجب العجاب ولباب الألباب، وفى كلامه دلالة على ما اختص به من الفضل والإحاطة بالبلاغة وتبحره في علومها"[13]

وبذلك نشاهد أنّ فن الاستعارة في الاحاديث النبوية الشريفة جاءت لتشكل صوراً مضيئة والواناً مشعة لتكون وسيلة من وسائل ايصال الافكار الواضحة والمؤثرة بحسب السياق ووظيفته التداولية للحديث النبوي الشريف .

المحور الأول/الاستشهاد بكلام الإمام عليA:-

أما فن الاســـتعارة المتمثلة من كلام أمير المؤمنين A وهذا ما ذكره العلوي وأكّد عليه في كتابه الطراز, بأنَّ كلامه 8 فيه من الرقة والجزالة ما لا توجد في كلام العرب, إذ إنّ العلوي هو أحد شراح نهج البلاغة، إذ قال:" وقد أشرنا إلى هذه الرموز بهذه الأحرف وكيفية دلالتها على التوحيد، والتنزيه في كتابنا الديباج الذى أمليناه شرحاً لكلامه فليطالع من هناك"[14] مما ساعد هذا الأمر على أن يكون العلوي ملماً إلماماً تاماً بنهج البلاغة وموضوعاته التي طرقها الإمام 8 وهذا واضح من إشاراته الكثيرة للرسائل والمناجاة والخطب، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان يشير إلى أنّ بعض الأساليب البلاغية قد أكثر منها الإمام في الرسائل دون الخطب أو الخطب دون الرسائل وغير ذلك، وهذا الأمر دليل على التعمق الشديد للعلوي في نهج البلاغة ومعرفة حقائقه وأسراره.

ومن الاســـتعارات التي وردت في كلام أمير المؤمنين 8 إذ قال العلوي فيها: "فمن بليغها وأغربها" قوله 8: "وَايْمُ اللَّه لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخَزَامَتِه حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وإِنْ كَانَ كَارِهاً"[15] .

فقد نظر العلوي إليه من زاوية أخرى في توضيحه وشرحه لهذا الكلام البليغ وهذه مسببات جاء بها ليعلل إعجابه وحكمه على كلام الإمام علي8 , فالنظرة البلاغية كانت واحدة من عدة أسباب رصدها العلوي في كلام الإمام8 إذ قال: "ما أعظم موقعها في الدين وأرضاها الله وأشجاها في حلوق الظلمة، وأرســـخ قدمها في البلاغة، وقد اشـــتملت على اســـتعارات ثلاثة الخزامة والانقياد، والمنهل"[16] وقد علّل ذلك الكلام بقوله "فإنَّه لما ذكر الانقياد عقبه بما يلائمه من الخزامة، ولما ذكر الورود عقبه بما يناسبه من المنهل، وهذا سر التوشيح وحقيقة جوهره"[17].

وفي نصِّ أمير المؤمنين A المتقدم يورد العلوي رأياً نقدياً مفاده أنَّ النص كلّما زادت اســـتعاراته وكانت منتظمة متسـقة رفعت من قيمته وزادت في درجة تأثيره ولما كانت الاســتعارات ثلاث في النصِّ المتقدم فإن قيمته تكون أعلى من غير المفتقد لهذه الخصيصـة ولا يفهم أنَّ الاستعارات إذا زادت تزداد القيمة من دون شرط الوضوح والبيان والاتساق والانتظام في إيراد المعنى وبيان القصد.

وهذه من الاســـتعارات الرائعة البلاغة بالمعنى وبيان الدلالة الاصـــلية إذ "جعل الظالم بمنزلة الإبل الصعب التي لا تنقاد إلا بالخزامة على سبيل الاستعارة بالكناية وذكر الخزامة تخييل والقود ترشـــيح. أي لأذللن الظالم وأقودنّه بالمقود حتى يخرج من حق المظلوم ويرد عليه مظلمته وإن كان كارهاً له"[18].

يبدو أنَّ شُـراح نهج البلاغة ومنه العلوي قد وقفوا في توضـيحهم للصـورة الاسـتعارية في كلام الإمام عليA ووقفوا عليه وقفة متأنية إذ أفصـــحوا عن الألفاظ الاســـتعارية وبينوا دلالاتها الأصـلية والهيأة المجازية الناتجة من هذه الصـورة التي وردت في كلام الإمام علي A وهذا ما أكّد عليه العلوي , إذ نجده واضحاً في امثلته لفن الاستعارة لكلام أمير المؤمنينA المتأثرة بتعبير القرآن الكريم إذ يضـع القرآن نصب عينيه ثم يعمل على توليد الصورة الفنية للاستعارة وبحسب موقفه الفني, وقد أعتمد العلوي على آلية نقدية إذ أعتمد فيها على بيان كثرة الاســـتعارات مع انتظامها لكلمات وجيزة وقصيرة لكلام الإمام علي A إذ فصل القول فيها وعلّل الشاهد من منحه

عقائدي وسـياسـي وبلاغي بقوله:" ما أعظم موقعها في الدين، وأرضـاها لله وأشـجاها في حلوق الظلمة، وأرسخ قدمها في البلاغة" [19] .

ولابد من التأكيد فإنَّ العلوي قد ذكر ابلغ الاسـتعارات في كلام الإمام علي8 إذ قال: "ومن أرقّ الاسـتعارة وألطفها ما قال عليه السـلام: يشـير به إلى نفسـه وأولاده من بعده «نَحنُ الشِّـعار وَالْأَصْـحاب وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَاب ولا تُؤْتَى الْبُيوتُ إلاّ مِنْ أَبوابِها فَمَنْ أَتاها مِنْ غَيرِ أَبْوابِها سـمِّي سارِقاً»[20].

فقد أشـاد العلوي في شـرحه لهذا الكلام البليغ بفضـل أهل البيت 8 وعلو مكانتهم ودرجتهم عند الله تعالى ومنزلتهم من الشـرف بالرسـول 9وقربهم منه وفي هذه الكلمات القصـيرة وما اشتملت عليه من المعاني وانطوت عليه من الأسرار والرموز .

ويحتوي كلامه 8على استعارات خمس وأوجزها العلوي بالآتي هي: [21]

1- استعار الشعار ليدلّ به على الاختصاص بالرسول (9)، والملاحقة له في حسبه.

2- استعار الخزنة ليدلّ به على أنهم الحافظون لعلوم الشريعة والمهيمنون عليها.

3- اسـتعار الأبواب ليدلّ به على أنه لا توجد الفضـائل في العلوم إلا جهتهم، وأنّهم بمنزلة الأبواب لها.

4- اسـتعار قوله لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، دالاً به على أن أخذها من جهة غيرهم خلاف العادة المألوفة وعكس للأمر وإبطال للحقيقة.

5- استعار قوله فمن أتاها من غير بابها كان سارقاً، ليدلّ به على أن كل من أخذها من غيرهم فقد ظلم وتعدّى وأساء كالسارق؛ لأنه أخذ ما لا يملكه ... أما قوله عليه السلام: التراب الوذمة، فهو من القلب الذى قد رقى في غايتي الفصـاحة والبلاغة، وهذه الاسـتعارة دالة على أنه مبالغ في قطع الدابر منهم، واسـتئصـال الشـأفة بالتفريق لجموعهم، والإهانة لقدرهم، ولله در أمير المؤمنين ما أصلب قناته في الدين، وأشد غضبه في الله، وأعظم عداوته لأعدائه.

وهنا ترتفع قيمه النص وذلك لمجيء خمس استعارات فيه بالإضافة إلى اللطافة والرقة التي قررها العلوي في معرض عرضه لهذا النص ,ثمَّ إنَّ العلوي فصل القول في استخراج الاستعارات وبيان مواقعها, ليبين قيمتها الفنية ودرجتها البلاغية.

وبذلك يقرر العلوي حكماً نقدياً إزاء كلام أمير المؤمنينA ويجعل من كثرة الاستعارات مع توافر اشتراطاتها تكون مائزاً له ولحدى المؤثرات فيه التي تجعل من المتلقي ينجذب إليه ويتأثر في مضامينه . وعليه تكون هكذا نصوص أولى من غيرها بالدراسة والمتابعة والبحث والاستشهاد.

وتوقف عند هذا الكلام ابن أبي الحديد أيضاً قبل العلوي فبينه: "قوله فيهم يرجع إلى آل محمد 9 الذين عناهم بقوله نحن الشعار والأصحاب وهو يطلق دائما هذه الصيغ الجمعية ويعني نفسه وفي القرآن كثير من ذلك نحو[22]" قوله تعالىΠ اَلَّذِينَ قَالَ لَهُم النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُO [23].

وهذا دليلٌ على أنَّ لكلام الإمام علي 8 في نهج البلاغة ذا دلالات ومعانٍ عميقة ولم يبتعد عن القرآن الكريم كما أشار إلى ذلك العلوي وابن أبي الحديد من قبله في شرحه لنهج البلاغة إذ قال: "فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيد البلغاء "[24].

وهذا ما بينه ابن أبي الحديد الذي سبق العلوي, وجاء رأي العلوي مطابقاً له حول عمق بلاغة وفصاحة أمير المؤمنين 8وبما اتاه الله جلَّ وعلا إذ قال: "اعلم أنّ أمير المؤمنين A لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها واختصه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق 9 في أمره ..."[25].

ومما استشهد به أيضاً العلوي لكلام علي ابن أبي طالبA قاله في معرض التهكّم والتوبيخ لبني أمية:« إِنَّ بَنِى أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي بِمَالِ اللهِ تَفْوِيقاً وَاللَّه لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ»[26].

فقد أشاد العلوي بهذه الخطبة بعد أنّ بين ما فيها من عدة استعارات رشيقة إذ قال: "فاستعار التوفيق للأكل قليلاً قليلاً، أخذا من فواق الناقة، وهو الحلبة بعد الحلبة، وقوله لأنفضنهم نفض

اللحام، اســـتعارة لتفريق شـــملهم والتنكيل بهم، واللحام، هو القصـــاب، والوذام هي القطع من الكرش، واحدتها وذمة، والتربة التي تقع على الأرض فإذا نفضها اللحام تناثر التراب منها أسرع ما يكون وأقصاه عنها، فأما قوله عليه السلام: التراب الوذمة، فهو من القلب الذى قد رقى في غايتي الفصاحة والبلاغة، وهذه الاستعارة دالة على أنّه مبالغ في قطع الدابر منهم، واستئصال الشـأفة بالتفريق لجموعهم، والإهانة لقدرهم، ولله در أمير المؤمنين ما أصـلب قناته في الدين، وأشد غضبه في الله، وأعظم عداوته لأعدائه" [27].

لقد جاءت الاستعارة في كلامه A لأثارة قضايا فكرية في أذهان أصحابه وخصومه ,وكان الهدف من الاستعارة تحريك الخيال والمشاعر وقد استطاع الإمام A فعلاً من خلال اسلوبه ومقدرته البلاغية أن يحرك الذهن والفكر بواسطة الخيال, وأنَّ الاستعارة قد افادت شرح المعنى وأثرت في النفس ما لا توثر الحقيقة فيه وتسـبب التأكيد للمعنى والمبالغة فيه وفيها نوع من الايجاز وتحسين للمعنى وابرازه في أجمل صورة وتعطينا صورة جديدة مع معانٍ بلاغية رائعة. وهذا ما بينه العلوي الذي ربط بين الاستعارة كفن بلاغي وبين موضوع الاستعارة الذي أيضاً تفوق به كلام أمير المؤمنين 8على كلام العرب.

وهكذا فإنَّ العلوي يتابع الاســتعارات في نصــوص أمير المؤمنينA بوصــفها أحد أهم الظواهر البلاغية في النص وقد بدأ متسلسلاً بالعرض بادئاً بالنصِّ الذي احتوى ثلاث استعارات ثمَّ خمسة استعارات ثمَّ هذا النص الذي احتوى على سبع استعارات متتالية ولهذا عدَّه من النصوص التي تحتوي قيمة بلاغية عالية, لما للاســتعارات من تأثير في الحكم النقدي والموازنة وعليه فإنَّ العلوي يميل مع نصوص أمير المؤمنينA بإزاء ما جاء عن العرب ,نظراً لكثافة الاستعارات في كلامه وانتظامها وتناسقها ووضوحها وإبانتها عن المعنى.

وقد أشـــاد العلوي لهذا الكلام إذ قال: "وأكثر كلامه عليه الســـلام في أعلا طبقات الفصـــاحة، وأسمى مراتب البلاغة"[28].

إذ نجد أنّ كلامهA قد أخذ أسلوباً بيانياً متميزاً جديداً، واكتسب معنى اصطلاحياً متكاملاً، إذ يتمثل لنا ذروة البيان العربي وهو صـــاحب أجود الكلمات وأرقاها وأحمدها وأكملها بعد الرســـول الأعظم9 ولأســباب وعوامل ذاتية ودينية وســياســية وتاريخية اقترنت بالإمام عليA , وتتكاثف الصور الاستعارية وتتداخل وتتشعب وتدخل في الكثير من الجزئيات والتفاصيل، ويستعير الجمل

الدقيقة من القرآن الكريم فيعكســـها بعبارات يظهر فيها الابداع في المعنى وفي المحتوى وتُعد هذه الجمل ثروة لا تنفد وهو سابق الكلمة بفكره , وفي الواقع هذه البلاغة وهذه الفصاحة حينما تصـل إلى نـهج البلاغة وبيان الإمام أمير المؤمنينA تقف حائرة صـاغرة بعد كلام القرآن الكريم وحديث النبوي الشريف .

ومما اسـتشــهد به العلوي قوله عليه السـلام عند لقاء عدوه: "اَللّٰهُمَّ قَدْ صَـرَّحَ مَكْنُونُ اَلشَّـنَآنِ وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ اَلْأَضْغَانِ[29]"[30].

وبيّن العلوي من خلال هذه الخطبة لأمير المؤمنينA بأنَّ كلامه لا يقدر بثمن إذ قال: "فهاتان استعارتان لشدة البغضاء وتمكن العداوة وتأكدها في الأفئدة، فهما على ما اختصا به من النظم والاتســـاق، وقصـــر اللفظ وبلاغة المعاني، لا يقدران بقيمة ولا يوزنان بأنفس الأثمان كما ترى"[31].

وفي هذا النصِّ يصــرح العلوي بالحكم النقدي إزاء الاســتعارة وضــابطتها في الكلام, إذ لابدَّ أن يتوفّر فيها النظم والاتساق مع قصر اللفظ وبلاغة المعاني.

وهكذا فإنَّ الاسـتعارة تُعدُّ فناً في المفاضـلة والموازنة بين النصـوص, وهي من ترفع قيمة النص وتأثيره في نفوس متلقيه حتى صرح العلوي بأنَّ الاستعارة في النصِّ هكذا وصف لا تقدّر بقيمة ولا توزن بأنفس الأثمان.

ومن هنا تغدو الاســتعارة عاملاً مهماً في الموازنة ونقد النصــوص وبيان مواطن الفن والجمال فيها.

وقد اعتمد العلوي في استشهاده من كلام الإمام علي 8 على تبيان مواطن الجمال وقوة الكلمة وفصاحتها، من خلال شرحه لأهم مواطن البلاغة من (استعارة) والكشف عن معاني كلام الإمام 8 في نـهج البلاغة؛ لأن كلامه 8 لم يبتعد عن القرآن الكريم والسـنة النبوية والحديث الشـريف، وأن كثرة الاستعارات وما اتصفت من النظم والاتساق وقصر اللفظ وبلاغة المعاني [32].

وبعد فصل القول والاستشهاد بكلامه 8في ذكر فن الاستعارة، وقد عرف الإمام علي8 بأنّه كان يتفوق في فن الكلام والبيان, ولذلك كان له تأثير كبير على الادب العربي والبلاغة وعلى البلغاء وأهل الفصـاحة ومن هذا المنطلق فقد وازن العلوي بين كلام العرب وكلام الامامA ليثبت للناظر

وللآخر التفاوت بين الكلامين وقال وبصريح العبارة: "اعلم إنّا نذكر ههنا ما ورد من الاستعارات الفائقة عمن يوصف بالبلاغة، ونذكر ما يوازنه من كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه، ليتحقق الناظر تفاوتاً ما بين الكلاميين وليعرف مصداق ما ادّعيناه في حقه من أنّه قد صار ابناً لبجدتها وأباً لعذرتها"[33].وهذه اشارة من اشارات العلوي إلى مقصديته في الموازنة بين الكلامين.

وبناء على ذلك فقد عمد العلوي إلى عرض استعراض قوة الاستعارة والاستشهاد من كلام أمير المؤمنين 8وبيان مقاصده من ذلك الاستشهاد والتمثل بكلامه 8لكي يثبت فصاحة هذا الكلام وبلاغته.

إذ تعدّ الصورة الاستعارية من أبرز الادوات التي استعملت في كلام الإمام علي8 والتي تُجسد الاحاسيس وتشخص الخواطر والافكار وتعمل على اشاعة الحياة في الجماد واضافة الحركة وهذا يرجع إلى ما أُوتي الامامA من ملكات ومواهب فضلاً عن نهجه بالأسلوب القرآني في تصوير المعنويات والحسيات.

المحور الثاني/ الاستشهاد بكلام العرب:-

ثمَّ انتقل العلوي إلى ذكر أقولاً من كلام العرب (الفصحاء البلغاء) الذين عرفوا بأساليبهم البلاغية الفائقة الجمال وموازنتها بكلام الإمام علي 8ليثبت للآخر ببلاغته المشهود لها بالرفعة: " وهو وارث علم النبي محمد 9وأنّه باب للعلم، الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لمحمد بن عبد الله 9حيث قال فيه: "أنَا مدِينَةُ العِلْمِ وعَلِيٌّ بَابُها"[34].

فالله سبحانه وتعالى تحدى العرب في التنزيل على الإتيان بمثل القرآن الكريم وتحداهم بإتيان آية واحدة، فإنّا نتحدى بلغاء العرب وفصحاءهم أن ينالوا مثلما نال الإمام علي 8 من بلاغته وفصاحته والعلوي بموازنته هذه أراد ان يبين أنّ كلام الامام عليA هو أفضل من كلام العرب بل هو بمصاف القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في إعجازه ومن ينظر له على أنّه كلام عادي حاله حال أيُّ كلام لخطيب أو ناثر أو شاعر فهو قد جانب الحقيقة والصواب, وهو الذي عرف بالفصاحة والبلاغة عندهم وقد كانت موازنته نقدية بلاغية وبالاعتماد على الاسلوب الفني البلاغي للاستعارة .

فذكر العلوي استعارات من كلام الحجاج بن يوسف الثقفي[35] عند قدومه إلى العراق إذ أنّه قال: "إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثل كنانته[36] وعجمها عوداً عوداً، فرآني أصلها نجاراً، وأبعدها نصلاً"[37].

فبينها العلوي إذ قال: "نثل كنانته وعجمها عوداً عوداً، يريد أنّه عرض رجاله واحداً واحداً، واختبرهم رجلاً رجلاً، فرآني أشدهم وأمضاهم، فهذا من الاستعارات الفائقة"[38].

فنثل كنانته: نشرها، ونثلوا ركيتهم: حفروها وأخرجوا نثيلتها: نبيثتها، ونثلوا حفرة فلان: حفروا قبره، ونثل الحافر: راث، قال يهجو فرسه بكثرة روثه فعبر عن روثه بعبارتين بثمل ومنثل: مثل على أريه الروث منثل.. ومن المجاز: نثل عليه درعه مثل نشرها إذا أصبها، ونثلها عنه: نزعها كما يقال: خلع عليه الثوب وخلعه عنه. [39]

ثم ذكر العلوي كلاماً لأمير المؤمنين8 ليوازن به قول الحجاج الذي عدّ عند العرب من الفصيح إذ قال في كلام الإمام عليA: " ما هو أرق وألطف في الاستعارة من هذا، وهذا نحو قولهA يخاطب به معاوية ويذكر فيه توجعه على بنى هاشم"[40]:« فَأَرادَ قَومنَا قَتْلَ نَبيِّنَا واجْتيَاحَ أَصْلنَا وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعلُوا بِنَا الْأَفَاعيلَ ومنَعونَا الْعذْبَ أَحلَسونَا الْخوفَ واضْطَرُّونَا إِلَى جبَلِ وعرٍ وأَوقَدوا لَنَا نَارَ الْحربِ فَعزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حوْزَتِه الرَّمْيِ من وراء حرمته مؤْمنُنَا يبغِى بِذَلِكَ الْأَجْرِ وكَافرنَا يُحامى عَنِ الْأَصْلِ ومن أَسلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خلْوٌ ممَّا نَحن فِيه بِحلْفٍ يمنَعه أَو عشيرة تقُوم دونَه فَهو مِنَ الْقَتْلِ بِمكَانِ أَمنٍ. وكَانَ رَسُولُ اللَّه 9 إِذَا احمرَ الْبَأْسُ وأَحجم النَّاسُ قَدَّم أَهْلَ بيْتِه فَوقَى بِهِم أَصْحَابَه حرَّ السُّيُوفِ والْأَسنَّة[41]» [42]

وأشاد العلوي بعذوبة هذا الكلام إذ قال:" فعلى الناظر إعمال فكرته الصافية، وشحذ عزيمته الماضية، فإذا فعل ذلك وعزل عن نفسه سلطان الحمية، وحمى جانبه عن التمسك بأهداب العصبي ة علم قطعاً لا ريب فيه، ويقينا لا ردَّ له أنّه كلام من أحاط بالمعاني ملكه، ونظم عقود البلاغة ولآلئها سلكه"[43].

ووصفه العلوي أيضاً بأنّه كلام لا يفوق عليه كلام ويزيد في الاستعارة الرائعة، والمقاصد الفائقة, ووازنه بين الكلامين مخاطباً به الآخر إذ قال: "فليمعن الناظر نظرة فيما بين الكلامين من التفاوت في لطيف الاستعارة منهما, فإنّه يجد بينها نوناً بعيداً, وغاية غير مدركة بالحصر"[44].

ومع ما سبق من علو كلام الحجاج إلاّ أنّه لا يرقى لكلام أمير المؤمنين A بعد أن وازن العلوي بينهما مع تثبيته بأنَّ الحجاج جاء بكلام على مستوى عال من البلاغة إلاّ أنّ أمير المؤمنين A كان كلامه أعلى قيمة وأنصح مسيرة وقد خاطب العلوي أصحاب العقول الصافية وطلب منهك الابتعاد عن الحمية الجاهلية والعصبية لكي يروا كلامه8 بعين الإنصاف .

كذلك يمكن أن نستشفّ من هذه الموازنة موضوعية العلوي ودقته التي لم يمنعه من الإشادة بكلام الحجاج على الرغم من المخالفة معه في العقيدة, وكذلك عدم اعتماده في الموازنة في كلّ صورها على الكلام الذي فيه هنات وإنما يختار الكلام الفصيح عالي القيمة ثمَّ يوازن به كلام أمير المؤمنينA ويظهر تفوقه وعلو قيمته بحسب الموازين التي وصفها ومنها الاستعارة التي نحن بصددها.

وقد أشاد العلوي على هذه الخطبة البليغة ناقداً بها بما تواتر من كلام العرب، إذ قال: "فانظر أيها الواقف مقدار ما بين الكلامين من التفاوت في مأخذهما في الاستعارة، وميز ما اشتمل عليه من الرقّة واللطافة والرونق والرشاقة، فليس العلم كالحسبان ولا يكون كالعيان"[45].

فجعل العلوي الاستعارة عامل موازنة مع التأكيد على الرقة واللطافة والرونق والرشاقة, وهكذا استعارة بكذا وصف ورؤية تكون عامل موازنة للتفضيل ما بين النصوص, وقد اعتمدها العلوي في تفضيل كلام أمير المؤمنين 8على غيره في موازنته التي اعتمدها, وعلى أساس ذلك أعطى العلوي للنقاد أساساً في تقنيين الموازنات عبر الاستعارة بوصفها الذي ذكره لتكون عاملاً فنياً تتوازن النصوص عبره.

إذ يعمد العلوي إلى انتقاء أعلى نماذج البلاغة التي تعارف عليها النقاد والادباء من قبله ويقابلها بما جاء به الامام علي 8 ليستشهد به ضمن الاسلوب البلاغي الذي يتناوله في كتابه الطراز.

ومما استشهد به العلوي ما قاله بعض الفصحاء في وصف المطر،" أقبل عارض مسف، متراكم غير شف، كالقاصد إلى الرقاق، والمخضل للأنفاق، فأرخى الغمام عزاليه. واثعنجر بصوب ما فيه. فالتقى الماء على أمر قد قدر، وتعقد منه الثرى وودأت منه العذر، وتهدمت القرى" [46]

.

فقد وازن العلوي بين كلام الامام علي 8 في وصف الطاووس وكلام العرب في وصف المطر والبون الشاسع بين الكلامين من الناحية البلاغية إذ قال فيه بصراحة:" كلام أمير المؤمنين 8ما يفوق عليه ويزيد في الاستعارة الرائقة، والمقاصد الفائقة. أما فيما يخص وصف المطر إذ قال فيه" فهذا معنى واحد قد اتفقا على وصفه" فخاطب أصحاب البلاغة والفصاحة بالنظر والمقارنة بين الكلامين إذ قال:" فانظر ما بين الوصفين وتأمل ما بين الكلامين، كيف بالغ فأحسن، واستعار فأجاد " [47] .

أما ما استشهد به العلوي من الاستعارات الشعرية ,من ذلك ما قاله ابو الطيب المتنبي: [48]

فما تركن بها خلداً له بصر تحت التراب ولا بازا له قدم
فلا هزبرا له من درعه لبدٌ ولا مهاةً لها من شبهها حشم[49]

وشرح العلوي البيتين مع إشادته لهما, فقال :"وهذا من بديع الاستعارة وغريبها واستعار الخلد لمن كان مختفيا تحت التراب خائفا، والباز استعاره لمن طار هاربا، والهزبر، والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة، وللنساء من السبايا، وهذه مبالغة في شدة الوقعة والهزيمة" .[50]

وعدّ هذا الكلام من المليح النادر "فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفا، والباز: استعارة لمن طار هاربا، والهزبر والمهاة: استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من السبايا" [51].

وعلاوة على ذلك فإنّ العلوي ذكر الاستعارة القبيحة ومستدلاً بها ,بورودها في كلام العرب وقد يكون الكلام ليس بليغاً ويعدّ من المستقبح عند اهل البلاغة على عكس كلام الإمام عليA فهو سيد البلغاء , فهو يستعمل الاستعارة بلغة عالية جداً وثرية بالمعاني والدلالات فهو مثالاً بارزاً لكل الفنون في الادب العربي, أما فيما صرح به العلوي لكلام العرب بما يخص فن الاستعارة القبيحة إذ قال :"فهي كل ما كان لا مناسبة بينها وبين المستعار له فيقبح لأجل ذلك" [52]وهذا كقول أبي نواس:

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح[53]

ولتوضيح ذلك فقد علّق العلوي على هذا البيت الشعري وعدّه من الاستعارة الركيكة, إذ قال:" فهذا وأمثاله من الاستعارة الركيكة النازلة القدر في البلاغة، ومراده من هذا هو أنَّ المال

يتظلم من إهانته له بالتمزيق بالإعطاء فالمعنى جيد، والعبارة قبيحة لا تلوح فيها مخايل البلاغة بحال" (54).

وهنا ينتقل العلوي إلى بيان الاستعارة من وجه آخر, وهي الاستعارة الرديئة التي تجعل النص قبيحاً, وعليه بين الوجه الآخر للاستعارة التي يسيء المنتج صياغتها فيوازن بصورة غير مباشرة مع نصوص أمير المؤمنين8, تلك العالية البيان والنظم ,ومن طريق البيان يتبين الفارق في الصياغة وطريقه ايراد المعنى.

وتوقف عليه ابن الاثير من قبل فقال: "هذا يرد على وجه الإضافة، واستعماله قبيح، لبعد ما بين المضاف والمضاف إليه، وذاك؛ لأنه يلتحق بالتشبيه المضمر الأداة، وإذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه، والمشبه به كان ذلك قبيحا، ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع إلا جاهل بأسرار الفصاحة والبلاغة، أو ساه غافل يذهب به خاطره إلى استعماله ما لا يجوز ولا يحسن فقوله: "بح صوت المال" من الكلام النازل بالمرة، ومراده من ذلك أن المال يتظلم من إهانتك إياه بالتمزيق، فالمعنى حسن، والتعبير عنه قبيح" (55).

وقد عمل العلوي على اختيار صنفين من الكلام :صنف العالي الفصيح كما مرَّ مع نص الحجاج والصنف الرديء كما في نصِّ ابي نواس؛ ليعطي عمله مساحةً من الدِّقة ويبين أفضلية كلام أمير المؤمنين8 بموازنته مع صنفي الكلام الجيد والرديء من خلال ذكره الشواهد والامثلة في كتابه الطراز.

ومما ذكره العلوي مثالاً للاستعارة الضعيفة الركيكة قول ابو نواس أيضاً.

ما لرجل المال أضحت تشتكى منها الكلالا(56)

فقد الحقه العلوي بالبيت الذي سبقه وبنفس الموضوع إذ قال:" فهذا أيضا أرك من الأول وأنزل قدراً وأسخف"(57)

ومن ضعيف الاستعارة ايضاً ما ذكره العلوي, قول أبى تمام:(58)

بلوناك أما كعب عرضك في العلى فعال وأما خد مالك أسفل

وعدّه العلوي من الاستعارات الضعيفة إذ قال: "فمراده من هذا أنَّ عرضك مصون ومالك مبتذل، لكنه أخرجه أقبح مخرج، وساقه سياقا مستكرهاً، فأنظر إلى قوله كعب عرضك، وخذ مالك، ما أبعده عن طرق البلاغة وأسخف قدره فيها"[59].

فكعب عرضك وخد مالك هو "مما يستقبح ويستنكر، ومراده من ذلك أن عرضك مصون ومالك مبتذل، إلا أنّه عبر عنه أقبح تعبير. وأبو تمام يقع في مثل ذلك كثيرا"[60].

وتفسيراً لذلك فقد عمد العلوي إلى عرض قوة الاستعارة وما أستقبح منها من كلام العرب, وأنّهم كانوا يستخدمون فن الاستعارة بطريقة تقليدية ومتعارف عليها. أما الاستشهاد بكلام أمير المؤمنين 8 وبيان مقاصده من ذلك الاستشهاد والتمثل بكلامه 8 ليوازن بينهما إلا لغرضين طرحهما لكي يعلم فصاحة وبلاغة كلام أمير المؤمنينA وبيان أنَّ فن الاستعارة يستخدمها بأسلوب مبتكر ومبهر وهذا يعدُّ من الآليات النقدية في بيان الغرض من اتيان كلام أمير المؤمنين A ثم يبين الأساس في التقييم النقدي , وليبرهن علو مكانة كلامهA الذي يتفوق به على الأساليب التقليدية المتعارف عليها للعرب في الأدب العربي, ومخاطباً كل من كان في قلبه العصبية الجاهلية، وأحقادها الدفينة وإلى جميع المشتغلين بالبلاغة وفنونها فقال ومبيناً لهؤلاء: " وما قصدت بنقل طرف من كلام أمير المؤمنين إلاّ لغرضين"[61].

الغرض الأو ل: التنبيه على عظم قدره، والإعلام بأنَّ أحداً من البلغاء وأهل الفصاحة لا يبلغ وإن عظم خطره شأو كلامه، ولا يستولي على أغواره، ويقصر عن الإتيان بمثاله وما ذاك إلاّ لأنّه قد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا.

الغرض الثاني: الإعلام بأنَّ أهل البلاغة ألهب الناس حشاً، وأعطشهم أكباداً، إلى الوقوف على أسرارها، والإحراز لأغوالها وأغوارها، ومع ذلك تراهم قد أعرضوا عن كلامه صفحاً، وطووا عنه كشحاً، مع دلوعهم من الكلام بما لا يدانيه ويقصر عن بلوغ أقصر معانيه، ولست أدري علاّم أحمل إعراضهم عنه؟ فإن كان جهلاً بأمره فقدرهم أعلا من أن يجهلوا مثل ذلك، وهم الغواصون على جواهر البلاغة، والمتبحرون في علومها، وإن كان استغناء عنه بغيره فهيهات هيهات، أين الغرب من النبع، والحصا من القيعان وعقود الياقوت من خرز المرجان، وشتّان ما بين ظهور السما ونور الفرقد، ومتى ظهر نور الشمس انسلخ الظلام وزال اللبس.

ففي الغرض الأول نبه فيه على عظم قدره "ببيان منزلته السامقة ومحله الرفيع عند الله تعالى ورسوله 9وأنّه الامتداد الحقيقي لرسالة الرسول9وقد أغفل المعاندون هذا القدر، وضلوا بعصبيتهم عنه... وكذلك التنبيه على عظم قدر كلامه وأنّه محل الإعجاز البشري كما قرره إذ عجز البلغاء وتحداهم من أن يأتوا بمثله فهو كلام معجز يأتي بعد القرن الكريم والحديث النبوي الشريف وهما في محل السبق والرفعة والتقدم؛ هذا ما تحقق لديه العلوي من خلال استشهاداته وأمثلته وتعليقاته على كلامه 8" [62].

أما الغرض الثاني الذي أراد فيه العلوي بأنّ كلامه 8 ضرورة من ضرورات أهل العلم وليس للمتعلمين الاعتياديين أو الذي لا زال يحبو في طريق البلاغة وتعلم أسرارها بل هو ضرورة ملحة لأهل البلاغة أنفسهم بعد أن شاهدهم قد أعرضوا عن كلامه 8 متنكراً عليهم موقفهم هذا، وقد تعجب منه كثيراً فعاب عليهم هذا الإعراض عن كلامه 8كما قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[63] فالعلوي بأسلوبه الحيادي الذي عرف به يعرض بضاعته وهو يعلم نفاستها وقيمتها العالية فهي تحمل خير الدنيا والآخرة[64].

وقال العلوي: "ومن لحظ كلامه بعين الإنصاف وأصغى سمعه لقبول الحق ودان بالاعتراف، عرف أنّ كلامه في البلاغة شمس لا يشاركه غيره في الشعاع، وأنّه في الفصاحة فَلَكٌ لا يدانيه غيره في الارتفاع"[65].

إنّ أشادات العلوي في كتابه "الطراز" بحق كلام الإمام عليA يعكس حقاً بلاغته بطريقة متفوقة. وإنّها لغة يلاحظها من بعد العدل والانصاف، والذي يستمع إلى كلامه بقبول الحق ويعترف به. من خلال فهم هذا الكلام، يدرك المرء أنّه في البلاغة يشبه شمساً لا يشاركه غيرها في السطوع. وفيما يتعلق بالفصاحة، فإنّها له كواكب لا يمكن لأحد آخر أن يتساوى معه في الارتفاع.

فالعلوي في عرضه الحيادي قد أجاد في موازنته الموضوعية وبدون أي تعصب مذهبي وإن كان هو علوي الأصل، إلا أنّه لم يكن هذا القرب النسبي والمذهبي حائلاً أو ركيزة لكي يعطي آراءه وإشاداته في كلام الإمام علي 8 .

إنّ هذا الثناء على بلاغة وفصاحة كلام الإمام علي8 يعبر عن القدرة الاستثنائية لكلماته على جذب الانتباه والتأثير القلوب والعقول. إنّه يؤكد على قيمة وروعة تعبيراته وأسلوبه الراقي والمتقن.

ولقد تفوق الامام عليA فعلاً في فن الكلام فوقف عند محاســـن الالفاظ فكل كلمة من كلماته ســـائرة مع الاجيال , وكل نمط من انماط كلامه 8 دليل قاطع على موهبته الفذة وملكته التي ليس لها نظير بين اســاطير العلم وفطاحل الحكماء . فهو بلا شــك أول من خطب على المنابر خطبة البلغاء بعد الرسول الكريم9 وممن أوقد الحكمة وفصل الخطاب واضاف اليها من الفنون والانشــاء ما لم يضــفه امام قبله , وما يجب ان يقتدى به في كل العصــور, وأضــاف من فن الانشاء ما لم يضفه انسان غيره ,بعد كلام الله والرسول 9 وأرسى للغة قواعد لازمتها في كل العصــور , ولقد كان لا ســلوبه نبرة يتميز بها على كل الاســاليب . ولعلّ القارئ لخطب وأقوال الإمام علي 8 يجد من حلاوتها في نفســه، ما تصــغر معه كل حلاوة أدركها طول عمره، ومن نورها في قلبه ما تنشرح له أرجاء صدره. (66)

إنّ هذا الثناء على بلاغة وفصاحة كلام الإمام علي8 يعبر عن القدرة الاستثنائية لكلماته على جذب الانتباه وتأثير القلوب والعقول. إنّه يؤكد على قيمة وروعة تعبيراته وأسلوبه الراقي والمتقن لفن الاستعارة.

الخاتمة :

ومما تقدم يمكن القول:

1- إنَّ العلوي من المؤسسين الواضحين في نهجهم, وهو الاستشهاد بكلام الإمام علي8 في كتابه البلاغي (الطراز) بشكل واضح ومقصود؛ إذ عمد بعد الاستشهاد بكلام الله جل وعلا, وبعده استشــهد بكلام سيد الأنبياء والرسل محمد9 ثمَّ استشــهد بكلام الإمام علي8, ثمَّ يأتي بكلام العرب من شــعر ونثر , وحاول أن يبرز كلام الإمام علي 8على حســاب كلام العرب دالاً ومثبتاً تميزه عنه ومؤكداً في كثير من مواطن كتابه الطراز أنَّه معجزٌ حاله حال كلام الله تعالى وكلام الرسول9 وهو نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق والبيان . وبينه وبين كلام العرب بون شاسع لذلك عمد من باب الاثبات والتأكيد والتوضيح إلى الموازنة بين كلامه8 وكلام العرب في كثير من مباحثه البلاغية في علم المعاني والبيان والبديع وكان له وقفات تحليلية متميزة في ذلك اثبت فيها تفوق كلامه 8 على كلام العرب .ومن أهم الاسس التي اعتمدها في الموازنة هي:

2- أتخذ العلوي موقفاً من الموازنات, إذ وازن بين كلام ناثرين وشـــعراء , في حين كانت الموازنات تجري بين الشـعراء, ولم يكن من همَّ النقاد الموازنةُ بين الكلام المنثور, فهو قد طبق موازنة مبتكرة في النقد, فقد وازن العلوي بين كلام الإمام علي من خطب وحكم وبين كلام العرب نثراً وشـعراً, مفضـلاً كلام الإمام عليA على سـائر الكلام عدا كلام الله وكلام النبي محمد9.

3- اعتمد العلوي على الرؤية الكلية للنص فهو ينظر إلى المقدمة والعرض والخاتمة, ثمَّ البناء الفنّي لكلِّ ركنٍ منها, ويبين أهمية كل منها وعلاقة بعضـــها ببعض ووظيفة كل منها وهل تحققت بالنص أم لا.

4- قرر العلوي حكماً نقدياً إزاء كلام أمير المؤمنينA ويجعل من كثرة الاســتعارات مع توافر اشـتراطاتها تكون مائزاً له واحدى المؤثرات فيه التي تجعل من المتلقي ينجذب إليه ويتأثر في مضـــامينه .وعليه تكون هكذا نصـــوص أولى من غيرها بالدِّراســـة والمتابعة والبحث والاستشهاد.

5- حقق العلوي الموضـــوعية والدقة في كثير من مواطن دراســـته فهو كما يدرس كلام أمير المؤمنين علي Aويبيّن ما فيه من مزايا ومحاسن فلم يمنعه منِ الإشادة بكلام الحجاج بن يوســـف الثقفي الذي عدَّ من الخطباء المفوهين باتفاق الناس على تقديمه في الخطابة, على الرغم من المخالفة معه في العقيدة, فيتبيّن بعدم اعتماده في الموازنة في كلِّ صورها على الكلام الذي فيه هنات وإنما يختار الكلام الفصـــيح عالي القيمة ثمَّ يوازن به كلام أمير المؤمنينA ويظهر تفوقه وعلو قيمته بحسب الموازين التي وصفها .

6- وبما أنّ الأحكام البلاغية هي أحكام صـــادقة عن الذوق فقد اعتمد العلوي وفي كثير من مواطن موازنته بين كلام الإمام عليA وكلام العرب على الذوق الفني في أحكامه كأحد المعايير النقدية البلاغية , وهذا واضحاً من خلال عرضه للفنون البلاغية .

7-وهذه الأُسس التي أجراها العلوي وعينها في كلام أمير المؤمنين 8فإنَّها تتسق فيما بينها لتجري على مستوي الكلام :اللفظي والمعنوي, وقد أشار إلى الاستعارة فجعلها أساساً في الموازنة والبيان. ففكرة العلوي في كتاب "الطراز" هي تفضيل كلام الإمام علي8 على كلام العرب كله .

الهوامش:-

1() ينظر : الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز, تأليف يحيى بن حمزة العلوي ؛ تحقيق بن عيسى باطاهر, دار المدار الاسلامي للتوزيع, 2007م:11،وينظر: البدر الطالع من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني. (ت 125 هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر(د.ت) :331/2، وينظر :معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة : 93/4, التحف شرح الزلف/27.

(2) السيرة الشريفة المنصورية : سيرة الامام عبد الله بن حمزة 593-614هج ، عبد الغني محمود عبد العاطي وأبو فراس بن دعثم, تحقيق عبد الغني محمود عبد العاطي.. بيروت، لبنان : دار الفكر المعاصر،1414هـ-1993م : 143 .

(3) ينظر: الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز:12.

(4) ينظر : البدر الطالع 2 / 331. ينظر: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وامام للقاضي حسين بن احمد العريشي (ت 1329هـ) نشرة الاب انستاس ماري الكرملي مطبعة البرتيري ، مصر1939 م :51 . مصادر الفكر الإسلامي في اليمن . عبد الله بن محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمنية صنعاء (لا.ت) : 564، 570.، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن وتاريخ اليمن للشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي (ت 1379هـ) المطبعة السلفية القاهرة 1346هـ :35-38

(5) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز, فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت606هـ),تح :د. نصر الله حاجي مفتي اوغلي,(ط1),دار صادر بيروت (لبنان)/1424هـ- 2004م:133.

(6) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن, د. عبد الفتاح لاشين ,دار الفكر الغربي, القاهرة, مصر /1418هـ-1998م:158.

7) ينظر: الطراز:104/1-105-106.

(8) المصدر نفسه:104/1.

(9)المصدر نفسه:105/1.

(10) المصدر نفسه:105/1

(11) ينظر: الطراز :1/ 106.

(12) ينظر المصدر نفسه:111/1-113.

(13) الطراز:112/1-113.

(14) الطراز :134/2.

(15) الطراز:113/1.ينظر: نهج البلاغة:1/ 744.

(16) المصدر نفسه:1/ 113.

(17) المصدر نفسه:1/ 113 . الخزامة حلقة من شعر تُجعل في أنف البعير ويجعل الزمام فيها". فاستعار الانقياد والخزامة لشـــدة أمر البيعة ..."ينظر : شـــرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/89. ينظر: شـــرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني:165/3.

(18) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة/ الميرزا حبيب الله الخوئي: 2.

19) الطراز:113/1.

(20) المصدر نفسه:1/ 113. ينظر :نهج البلاغة:1/ 215 – 216.

(21) ينظر الطراز:1/ 113 – 114.

(22) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 178/9.كما بينها فقال:" قال نحن الشّعار والأصحاب يشير إلى نفسه وهو بلفظ الجمع أبدا يأتي ومراده الواحد... والخزنة والأبواب يمكن أن يعني به خزنة العلم وأبواب العلم لقول رسول الله 9 أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب, , وقال تارة أخرى عيبة علمي, ويمكن أن يريد خزنة الجنة وأبواب الجنة أي لا يدخل الجنة إلا من وافى بولايتنا":9 / 165.وينظر: شرح ابن ميثم البحراني: 247/3 – 251.

23) سورة آل عمران الآية: 173.

(24) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 24/1.

25) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد : 9 / 166.

(26) الطراز: 114/1. وينظر نهج البلاغة :104/1.

(27) الطراز:114/1 . كما ذكرها ابن ميثم البحراني إذ قال: "واســتعار لفظ النفض لإبعادهم عن ذلك، وشــبه نفضــه لهم بنفض القصاب القطعة من الكبد أو الكرش من التراب إذا أصابته": شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: 212/2.

(28) الطراز: 115/1.

(29) صرح مكنون الشّنآن :صرح القوم بما كانوا يكتمون من البغضاء. .جاشت: غلت المراجل: القدور. الأضغان – جمع ضغن –: وهو الحقد.

(30) الطراز: 115/1.وينظر: نهج البلاغة:373/1-374.

(31) الطراز: 115/1.

(32) ينظر :شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 24/1.

(33) الطراز: 116/1 ، ابن بجدتها: العالم بالشيء المتقين له، أباً لعذرتها: أي هو الذي اخترعها ولم يسبق إليه أحد.

(34) إحقاق الحق و إزهاق الباطل : التســتري، القاضــي نور الله:459/7.ينظر: هذه رواية القطيعي في زياداته على فضـائل أحمد، وإبراهيم بن عبد اللّه الكجي، هو شـيخ القطيعي، ولد سـنة نيف وتسـعين ومئة، وثّقه الدار قطني وغيره، ومات سنة 292.(سير أعلام النّبلاء 13/ 423 رقم 209).- والرواية موجودة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الفضائل: 138 برقم 203 بهذا الإسناد، وبلفظ : «أنا دار الحكمة وعلي بابها .

35) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي(40 -95هـــ= 660 -714 م)، الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أبو محمد : قائد ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز)... وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين . وقال أبو عمرو ابن العلاء : ما رأيت أحدا أفصـح من الحسـن البصـري والحجاج .. .وجاء في العقد الفريد لابن عبد ربه أن أسـماء بنت أبي بكر قالت للحجاج: سـمعنا رسـول الله يقول أنه يخرج من ثقيف رجلان، الكذاب والمبير. وأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أظنّه سواك... ، وكان أشـهر من قتلهم الحجاج التابعي سـعيد بن جبير الذي دعا عليه فمات ولم يقتل أحدا بعده. الاعلام للزركلي : الزركلي، خير الدين:168/2.ينظر: تهذيب التهذيب 2 : 196 وميزان الاعتدال 1 : 213 وتاريخ بغداد 8 : 230.

(36) لسان العرب: 645/11. "فمعنى نثل كنانته: استخرج ما فيها من النبل".

(37) الطراز :116/1.

(38) المصدر نفسه: 116/1. و توقف ابن الأثير على قول الحجاج السابق شارحاً له وموضحاً قول الحجاج بن يوسف أنّه خطب خطبة عند قدومه العراق في أول ولايته إياه، والخطبة مشهورة، ويريد بها أنّه عرض رجاله واختبرهم واحدا واحدا جد اختباره فرآني أشدهم وأمضاهم، وهذا من الاستعارة الحسنة الفائقة":ينظر: المثل السائر:360/1-361.

(39) أساس البلاغة: 462/1.

(40) الطراز:115/1.

(41) الاجتياح: الاستئصال والإهلاك. هموا بنا الهموم: قصدوا إنزالها بنا. لأفاعيل: جمع أفعوله: الفعلة الرديئة. أحلسونا: ألزمونا. المراد من الحوزة هنا الشريعة الحقه. رمى من وراء الحرمة: جعل نفسه وقاية لها يدافع السوء عنها فهو من ورائها أو هي من ورائه. احمرار البأس: اشتداد القتال. حر الأسنة – بفتح الحاء –: شدة وقعها.

(42) الطراز :115/1. وينظر: نهج البلاغة:368/1-369.

(43) الطراز:115/1.

(44) المصدر نفسه: 116/1 .كما اشاد بهذا الكلام ابن أبي الحديد من قبل العلوي وبين فيها على جملة من الاستعارات الرشيقة الفائقة الجمال: شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد:49/14.

(45) الطراز: 117/1.

(46) الطراز:117/1.

(47) ينظر: الطراز:117/1.

(48) الطراز:118/1. ديوان المتنبي 4/ 15.

(49) الخلد: ضرب من الفأر، ليست له عيون. الهزبر: الأسد واللبد جمع لبدة، وهي ما على كتفي الأسد من شعره، والمهاة بقرة الوحش، والحشم الخدم، وهي حاشية الإنسان العظيم.

(50) الطراز: 1/ 118.

(51) المثل السائر : 1 / 367./ ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي : الواحدي : 1 / 300-301.وشرح ديوان المتنبي للعكبري : العكبري، أبو البقاء : 4 / 20.

(52) الطراز:125/1.

(53) ديوان أبي نواس :70 من قصيدة يمدح بها العباس بن عبد الله بن أبي جعفر المنصور، ومطلعها: غرد الديك الصدوح ... فاسقني طاب الصبوح

(54) الطراز :1 / : 125.

(55) المثل السائر:2 / : 64.

(56) ديوان أبي نواس 119 من قصيدة في مدح إبراهيم بن عبد الله الحجي وأولها: هل عرفت الدار أجلى ... أهله عنه فزالا

(57) الطراز:125/1. واتفق على هذا المعنى النقاد واهل البلاغة على أنّه تشبيه بعيد وركيك: ينظر: المثل السائر: 2 / 121/79. علوم البلاغة البيان المعاني البديع : المراغي، أحمد بن مصطفى:280/1.

(58) الطراز :125/1.ديوان أبي تمام: 245 من قصيدة في مدح أبي المستهل محمد بن شقيق الطائي. مطلعها: تحمل عنه الصبر يوم تحملوا ... وعادت صباه في الصبا وهي شمأل

(59) الطراز :1 / 125.

(60) المثل السائر :2/ 65.

(61) الطراز:115/1-116.

(62) نهج البلاغة معين البلاغيين، علي كاظم المصلاوي: 37 – 38.

(63) سورة البقرة، الآية: 61.

(64) ينظر نهج البلاغة معين البلاغيين، علي كاظم المصلاوي: 43 – 45.

(65) الطراز: 198/1.

(66)وأشاد ببلاغة كلامه محمد عبده في شرحه لنهج البلاغة إذ قال: "فكلامه (8) حوى كلّ فنون الفصاحة ووجوه البلاغة، اذ لم يترك غرضـــاً من أغراض الكلام إلا وكان له فيه إصـــابةٌ، كما أنه لم يدعٌ للفكر ممراً إلا جابهٌ": ينظر: شـــرح نهج البلاغة، محمد عبده، مقدمة الكتاب: 4.

المصادر والمراجع/

1) خير ما نبتدئ به: القرآن الكريم.

2) أساس البلاغة, أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـــ), تحقيق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

3) الأعلام للزركلي : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـــــ), دار العلم للملايين, (ط15) ٢٠٠٢ م .

4) الإيجاز لأسـرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز, يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق: بن عيسـى باطاهر، ط 1، دار المدار الإسلامي، 2007م.

5) بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وامام للقاضي حسين بن احمد العريشي (ت 1329هـ), القاضي حسين بن أحمد العرشي, مكتبة الثقافة الدينية (د-ت).

6) البدر الطالع بمحاسـن من بعد القرن السـابع، محمد بن علي الشـوكاني (ت1225)،دار المعرفة للطباعة والنشـر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى،1348هـ.

7) البلاغة في السنة النبوية دراسة تحليلية في الحديث النبوي- د. عزة محمد جدوع ط1/1434هـ-2013م.

8) البيان في ضوء أساليب القرآن, د. عبد الفتاح لاشين ,دار الفكر الغربي, القاهرة, مصر /1418هـ-1998م.

9) تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـــــ),تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي - بيروت,(ط1),1422 هـ - 2002 م.

10) تاريخ اليمن المسـمى فرجة الهموم والحزن وتاريخ اليمن للشـيخ عبد الواسـع بن يحيى الواسـعي (ت 1379هـــ) المطبعة السلفية القاهرة 1346هـ .

11) تحرير التحبير في صـــناعة الشـــعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصـــبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ). تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف, الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي/1383هـ-1963م.

12) التحف في مذَاهب السلَف, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ هـ), علق عليه وخرج أحاديثه: محمَد صبحَي حسن حلاق [ت ١٤٣٨ هـ], مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر, الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

13) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن, أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـــ), تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي التعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة, دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

14) تهذيب التهذيب العسقلاني، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت١٣٦٤هـــ(, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, الطبعة: الأولى 1404 هـ – 1984 م.

15) ديوان أبي تمام ,أبو تمام حبيب بن أوس الطائي, دار الكتب العلمية ,بيروت لبنان , ط4 /2009م.

16) ديوان أبي نواس برواية الصـــولي, أبو بكر محمد بن يحيى ,تحقيق ؛الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي,(ط1),دار الكتب الوطنية , هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة,2010م.

17) ديوان المتنبي, المتنبي أبو الطيب احمد بن الحسين الجعفي الكندي , دار الجيل ,بيروت , لبنان ,د.ت.

18) السـيرة الشـريفة المنصـورية : سـيرة الامام عبد الله بن حمزة 593-614هج ، عبد الغني محمود عبد العاطي وأبو فراس بن دعثم, تحقيق عبد الغني محمود عبد العاطي.., بيروت، لبنان : دار الفكر المعاصر،1414هـ-1993م

19) شـــرح ديوان المتنبي للعكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحســـين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت ٦١٦هـ),تحقيق؛ مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي, دار المعرفة – بيروت,

20) شـرح ديوان المتنبي للواحدي : أبو الحســن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيســابوري، الشــافعي (ت ٤٦٨هـ(

21) شرح نهج البلاغة , العلامة كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (636 هـــ ـــــ 679 أو 699هـــ),مطبعة الحيدري,(ط1),1379هـ.

22) شرح نهج البلاغة, عزّ الدّين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المدائني (ت655هـــ)، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم , مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، النشر: قم، ايران الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، تاريخ النشر: 1406 /1985.

23) شرح نهج البلاغة، شرحه الشيخ محمد عبده (1849م – 1905م)، تحقيق: د. محمد محي الدين عبد الحميد ،ط مطبعة الاستقامة ،المكتبة التجارية, مصر.

24) الطراز لأســـرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز, يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحســـيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ),تحقيق ؛ عبد الحميد هنداوي, المكتبة العصرية, 1423هـ – 2002م.

25) علوم البلاغة البيان المعاني البديع : أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ), دار الكتب العلمية,1422هـ.

26) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام , ابو معاش، سعيد, مؤسسة السيدة معصومة عليها السلام–قم (ط1),1431هـ.

27) لسان العرب: لابن منظور : أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (711 هـ)، المطبعة العصرية، بوراق، 1979 م.

28) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة, الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة , ط1 :1380هـ/1960م.

29) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن . عبد الله بن محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمنية صنعاء (د.ت)

30) معجم المؤلفين, عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـــ), الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

31) منهـاج البراعــة في شـــرح نهج البلاغــة: تــأليف العلامــة المحقق الحــاج ميرزا حبيــب الله الهــاشـــمي الخوئي(1324هـ(,تحقيق؛ ميانجى، إبراهيم, المكتبة الإسلامية,1400هـ.

32) ميزان الاعتدال في نقد الرجال, شـــمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (المتوفى: 748هـــ), تحقيق: علي محمد البجاوي, دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان, الطبعة: الأولى، 1382 هـــ – 1963 م.

33) النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسـائل في إعجاز القرآن)، علي بن عيسـى بن علي بن عبد الله، أبو الحسـن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول عبد السلام، دار المعارف ط ٣, ١٩٧٦م.

34) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز, فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت606هـــ),تح :د. نصر الله حاجي مفتي اوغلي,(ط1),دار صادر بيروت (لبنان)/1424هـ– 2004م.

35) نهج البلاغة الدكتور صـــبحي صـــالح, دار الكتاب اللبناني, بيروت لبنان , دار الكتاب المصـــري, القاهرة ط1, 1425هـ–2004م.

36) نهج البلاغة معين البلاغيين قراءة في دلالات الاستشهاد , كتاب الطراز للعلوي انموذجاً, الاستاذ الدكتور علي كاظم المصلاوي , 2016م